خطرات فى الأدب المعاصر :

١ ـ حالة أدبنا

أدبنا عكر لا لون له ولا طابع ولا شرعة ولا منهاج ولا هدف . أدبنا أكسح تنقصه الحيوية وتعوزه الروح ويفتقر إلى التوجيه الصحيح .

ونحن نريد أدباً يدفع إلى المجد ؛ يغذى الفكر ويهذب المشاعر ويروض النفوس على تذوق كل جميل وفى هذه الصدور اليائسة ينفخ هزة الحياة لتشعر وتفكر ثم تعمل لتحيا سعيدة .

أدبنا عكر لأن فيه من كل مذهب بدعة ، ولكل طائفة شرعة ، ولكل أديب أو متأدب دعوة ، وكل ثائر ناقم يمجد نهجه ويعيب غيره . فمن مشرق يتمسك بالقديم البالى ؛ يركب نهج القديم باسم الاصالة ، ويفتعل فى الأدب باسم القومية ، وعلى المعنى يجنى باسم التعمق ، وعلى اللفظ باسم الجزالة بل وعلى الأدب باسم الأدب . هذا القديم ضال فى غوايته ، تائه فى ضلالته ، ناس أو متناس أن الأدب فن رفيع من فنون الحياة يتجدد بتجددها ويتأثر بكل مافيها من مؤثرات اجتماعية كانت أو فلسفية أو علمية ، وأن أدب أية أمة مهما تعالى وتسامى متأثر بالآداب الأخرى مؤثر فيها .

وأساتيذ المدرسة القديمة وتلاميذها من أدبائنا كثيرون ، ومعظم أدب هؤلاء دوار فى مجالات القديم ، وأكثر موضوعاته لا تعدو اجتراراً لمآثر الماضى ، ومناهل هذا الأدب فى المعاجم ونبش وريقات الماضى .

ولهذا الطراز من الأدب أسلوبه الخاص ، فلغته عربية سليمة ، وألفاظ جزلة ومعان عميقة وتراكيب مرصوفة لها موسيقة النفوس . وهى لغة القرآن فلها قدسيتها ورفعتها وإذن فهى اسمى من أن تؤنس بغريب ، وأوسع من أن تقصر عن أداء معنى ، وأرفع من أن تنالها يد التحوير والتغير ... أما خيالاته فسافية هادئة إلا أن أجواءها ساجية حزينة قل أن تجد فيها تصويراً حركياً أو وضعاً نابضاً بالحياة .

ومن مغرب قدر له أن يطلع على شىء من أدب الغرب فبهره التجديد وانغمس فيه ثم عاد يحمل رزماً من الطرائق والمناهج وجهر يدعو لتطبيقها كاملة غير منقوصة . وليته درى أن لكل بيئة خصائصها وفى كل مجتمع ميزات ينفرد بها ولكل قوم أمزجتهم وأهواءهم ، فما يصلح فى بيئة قد لا يصلح كله فى الأخرى ، وما يستساغ عند قوم يمجه آخرون .

هذا بالإضافة إلى أن أسس الخبرات الشائعة فى أى مجتمع من المجتمعات تختلف باختلاف طعومه الفنية ومراتب حضارته وأن أى عزم لبناء صرح جديد لا بد وأن يستند بهذه الأسس .

وابتلى الأدب العربى بحملة المشاعل المستعارة ، فهذا داعية جديد أمه فرنسا رشف لبنها واستطعم أدابها فملكته رقتها وأسرته طرائق تصويرها وبهرته مناهج البحث الفرنسية فعاد يدعو لتطبيقها وافية كاملة . وهذا آخر لقف العلم فى انكلترا أو اتصل بعلومها وأدابها فانغمس فى رومانتيكية الانكليز وماع معها وهام فى دنا أريافها ثم عاد يدعو إلى البساطة والتحلل من القيود قيود الشعر وتعقيدات النثر ... وثالث ألمانى الثقافة واقعى النزعة جاء يحمل على هذا الأدب الضعيف اللين المائع لأن القوة ـ فى نظره ـ هى المظهر السامى للكائن الحى والأدب مظهر من مظاهر الحياة يصورها ويمثلها ويعالجها فلا بد وأن يكون قوياً .

وأدب هؤلاء المجددين متلون وفق أهواء كل منهم ، مصطبغ بنهج من درس عليه ، متأثر بطرائق من أخذ عنه وتكاد أساليبه تمتاز بأنها أسلس قياداً للقارىء فلغته عذبة ألفها فى حياته العامة ، ليس فيها الغريب الشاذ ولا العميق المعقد . ولئن كان جرس الكلمة ورنين العبارة وموسقة السبك هى أنصار الأسلوب القديم فى إثارة مشاعر القارى فلا شك أن وضوح الفكرة وبساطة التركيب وطرافة الموضوع هى أهم ما يعتمد عليها الأسلوب الجديد فى استهوائه نفوس قرائه .

وموضوعات هذا الأدب بنت الواقع تصوره وتعالجه فهى منه وإليه ، ومعظمها إما من صميم حياتنا أو منقول مترجم . وفى الأولى ملح كوميدية عذبة وفى الثانية روائع رومانتيكية مزيدة .